ثالثاً: علاقة الشريعة الإسلامية بالشرائع السماوية:

تستمدّ الشرائع السماويّة أحكامها من عدّة مصادر؛ فالشريعة الإسلاميّة تستمدّ أحكامها من القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة، أما الشريعة اليهوديّة فاستمدّتها من التوراة، والشريعة المسيحيّة استُمّدت أحكامها من كتابي الإنجيل والتوراة معاً، **وقد أجمع العلماء أن الشرائع السماوية متفقّةٌ على أمرين:**

الأول: الأمور الاعتقادية من حيث الإيمان بوجود الخالق عزّ وجل وأنه حيٌّ لا يموت، ومرسل الرسل وما يحملون من شرائع.

الثاني: فهي الدعوة إلى مكارم الأخلاق كالوفاء بالعهد، والصدق، وتأدية الأمانة، إلا أنّها تختلف في الأحكام العمليّة في العبادات والمعاملات والجنايات والمواريث، حيث تنفرد كل شريعةٍ بأحكامها الخاصّة بها.

وعَد الله تعالى آدم عليه السلام أن يديم تنزيل هديه إليه وإلى ذريته من بعده، ليعرفهم بالمنهج الذي يصلح حياتهم، وينقذهم من الضلالة والشقوة في الدنيا والآخرة.

إنّ الدّين الذي أنزل اللّه على جميع رسله وأنبيائه دين واحد، وهو الإسلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾آل عمران: ١٩، وقال أيضا: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾آل عمران: ٨٥ .

والإسلام هو: استسلام كل رسول وأتباعه للّه تعالى وخضوعهم وطاعتهم له، بفعل ما يأمرهم به، وترك ما ينهاهم عنه.

أما الشرائع التي أنزلها اللّه تعالى على رسله وأنبيائه فإنها متعددة، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾المائدة: ٤٨.

وهي وإن كانت مختلفة فإنها تحقق غاية واحدة، فكل أصحاب شريعة يحققون الدينونة والعبودية التي خلقوا من أجلها من خلال عملهم بشريعتهم وبتلك الشريعة يتحقق صلاح دنياهم وأخراهم.

قد يقال: لماذا لم يكتف بإنزال شريعة واحدة، يستمر وجودها على مر الزمان وتعاقب العصور والأجيال؟

والجواب: أن اللّه تعالى كان -قبل بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد "ﷺ"- يرسل لكل أمة رسولاً خاصاً بها، ولهذا نرى شرائع الأمم السابقة تختلف فيما

بينها لحكم واضحة، فالشرائع تختلف باختلاف زمان الأمم، وتباين تحمل أبدانهم قوة وضعفها، واستعداد أمزجتهم قبولاً ورفضاً. والله أنزل هذه الشرائع لتحقيق مصالح العباد، والمصلحة تختلف باختلاف الأحوال والزمان، وهو تعالى حكيم يشرع لعباده في كل عصر ما يعلم أن مصلحتهم تتحقق بتحكيم الشريعة المنزلة اليهم فيه.

وقد جاءت الشريعة الإسلامية شريعة عالمية، غير محدودة بزمان ولا مكان، ولا طائفة من الناس، ولذا فإنها اتصفت بالصفات التي تجعلها صالحة لكل زمان ومكان.

أما بخصوص موضوع علاقة شريعتنا بالشرائع السماوية السابقة كشريعة موسى عليه السلام وغيره من أنبياء الله ورسله:

مع أن الشرائع السماوية كلها من عند الله تعالى، إلا أن اللاحق قد ينسخ السابق منها، ومن ذلك شريعتنا المباركة، فإنها ناسخة للشرائع قبلها.

قال المولى عز وجل: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الجاثية: ١٨. وقد تلقّى رسولنا "ﷺ"، جميع الأحكام من الوحي، وإذا وجد

التشابه بين هذه الشريعة الخاتمة والشرائع السابقة، فذلك عائد إلى أن مصدر هذه الشرائع واحد، لا لتلقي الرسول "ﷺ" هذه الأحكام من شرائع الأمم السابقة.

كما ينبغي التنبيه هنا إلى أمر في غاية الأهمية قد يجهل حكمه كثير من الناس، معاشر المسلمين وإن كنا لا نعمل بالشرائع السابقة لأنها منسوخة بشريعتنا، والعمل إنما يكون بالناسخ لا بالمنسوخ، إلا أن الله أوجب علينا الإيمان بتلك الشرائع، وبالرسل المنزلة عليهم لأن الإيمان بذلك إيمان بحقائق وجدت، فالإيمان بها تصديق بخبر الله وخبر رسوله، ولا إيمان لمن كذّب الله ورسوله.

قال الله جل في علاه مخبراً بصفة إيمان المؤمنين: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾البقرة:٢٨٥، فهم يؤمنون بجميع الكتب والرسل، ولا يفرقون بينهم بالإيمان ببعضهم، والكفر بآخرين.

وقد أمرنا ربنا بذلك فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾النساء: ١٣٦.

مواضع الاتفاق بين الشرائع السماوية

إن الدارس للشرائع السماوية التي حدثنا الله سبحانه عنها في كتابه المبين يجدها كلها تتفق فيما بينها في أمور عديدة، نذكر منها:

مقصد الشرائع السماوية

فمقصد الشرائع هو تعبيد الناس لربهم، أي تحقيق العبودية لله.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾الأنبياء: ٢٥، فالمقصد والغرض من إرسال الرسل وبعثة الأنبياء واحد هو تعريف الخلق بالخالق سبحانه، وتعبيدهم له بما يشرع من أحكام وتكاليف، فيلتزمون بها عن طواعية واختيار.

ومن مواضع الاتفاق أن الشرائع السماوية تقرّر القواعد العامة والأصول الكبرى التي لا بد أن تعيها البشرية في مختلف العصور، كوجوب العدل، وفضل الإحسان، وكقاعدة الثواب والعقاب، هي أن الإنسان إنما يحاسب على أعماله، فيعاقب بذنوبه وأوزاره، ولا يؤاخذ بجريرة غيره، ويثاب بسعيه، وليس له سعي غيره. قال تعالى: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ

أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾النجم: ٣٦ - ٤١، وقال أيضا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾النحل: ٩٠.

أشياء تتفق فيها الشرائع السماوية فيما بينها:

ومن **الأمور التي تتفق فيها الشرائع** كلها العبادات المهمة، كالصلاة، والزكاة، والصوم، إذ لا تكاد تخلو منها شريعة من الشرائع.

فالقرآن الكريم يحدثنا عن إسماعيل (عليه السلام) فيقول: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾مريم: ٥٥. وأمر الله تعالى موسى بالصلاة: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾طه: ١٤.

وأوصى الله تعالى عيسى (عليه السلام) بالصلاة والزكاة: ﴿ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾مريم: ٣١.

والصيام كتبه الله تعالى علينا وعلى الأمم من قبلنا كما أخبرنا بذلك الحق سبحانه وتعالى حين قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾البقرة: ١٨٣.

وأمر المولى سبحانه إبراهيم (عليه السلام) بأن ينادي في الناس بالحج ويأمر به ففعل: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴾الحج: ٢٧.

وقد **تتفق الشرائع في بعض الأمور الجزئية**، فقد شرّع الله تعالى في صلاة من قبلنا القيام والركوع والسجود، فمما خوطبت به مريم (عليها السلام): ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ آل عمران: ٤٣. فهذا باختصار أهم مواطن الاتفاق بين الشرائع السماوية.

وصفوت القول، فإن الشرائع السماوية كلها وحي من الله تعالى، أنزلها على رسله في فترات مختلفة، وختمها بالشريعة الإسلامية التي رضيها لعباده: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾المائدة: ٣، وجعلها الدّين الصّحيح: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ آل عمران: ٨٥.